توجيهات عامة للشباب وواجبهم نحو الدعوة

للشيخ ربيع بن هادي المدخلي

بسم الله الرحمٰن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله تعالىٰ وبركاته...

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}[آل عمران:١٠٢]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[النساء:١]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}[الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

أيها الأحبة والأبناء فسمعتم عنوان المحاضرة: توجيهات عامة.

وقد بحثت عن آيات في كتاب الله تتناسب مع هٰذا الموضوع، فوجدت من أنسبها وكلها صالحة والحمد لله لتوجيه الشباب

التوجيهات الخاصة والعامة والمطلقة والمقيدة إلىٰ آخر ما تقول، فوجدت من أنسبها آيات من سورة آل عمران، آيات عظيمة جدا، كأنما نزلت غضة طرية الآن صالحة كل الصلاح لمعالجة أوضاعنا الحالية -أوضاع الشباب-.

ألا وهي قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧)﴾[آل عمران:١٠٣-١٠٧].

نزلت هٰذه الآيات وأوضاع الجزيرة كما حكى الله تبارك وتعالىٰ: ﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾، كانوا أعداء متناحرين،

يقتل بعضهم بعضا، ويسبي بعضهم بعضا وتستمر الحروب دهورا لأتفه الأسباب، فجمعهم الله وألفهم الله بمحمد وبما جاء به عليه الصلاة والسلام.

ومرت الأيام وجاءت الدهور، وعادت الجزيرة إلىٰ شبيه بما كانت عليه، فألف الله بين قلوب أصحاب الجزيرة بكتاب الله وبالدعوة السلفية ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾، وكانوا على شفا جرف هار فأنقذهم الله تبارك وتعالىٰ بهذه الدعوة السلفية الصحيحة القائمة على كتاب الله وعلى سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام.

وهٰذه نعمة عظيمة يجب أن يدركها شبابنا، فيعتزون بها ويعضون عليها بالنواجذ.

فالآن نبدأ في تفسير هٰذه الآيات بما يلهمنا الله تبارك وتعالىٰ به، ونستطرد ما في معناها ومعنى فقراتها من أحاديث وآيات بما يلهمنا الله تبارك وتعالىٰ، وأسأل الله تبارك وتعالىٰ أن يشفي بها قلوبنا وأن يعالج بها أمراضنا، فإنا أصبنا بأمراض تحتاج إلىٰ علاج القرآن وهو والله الشفاء والله هو الشفاء.

قال الله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ هٰذا خطاب شامل للأمة كلها بحيث لا يجوز أن يتخلف عنها فرد، وبكتاب الله جميعا وبما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام بحيث لا نترك مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم شيئا، ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ جاء في معنى هٰذه الجملة آيات وأحاديث كثيرة: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[الأنعام:١٥٣]، ﴿المص (١) كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٣)﴾[الأعراف:١-٣]، ونحن نقول كل يوم: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)﴾[الفاتحة:٦-٧] كل هٰذه الآيات تدور حول محور واحد.

ومن السنة: ((تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي))،(١) ((تركتكم على البيضاء(٢) ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك))،(٣) ((إن الله يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا،

وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم. ويسخط لكم ثلاثا: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال)).(٤)

هٰذا القيل والقال الذي الآن أخذ وقتا كبيرا من أوقات الشباب، ((وكفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع))، ولا يكون المرء أبدا إماما -كما قال مالك- إذا كان يحدث بكل ما سمع.(٥)

فالمؤمن لا يحدث إلا بما ينفع الأمة، ولا يتحدث إلا بما ينفع الأمة، ولا ينقل كلاما إلا ثابتا وهادفا -هٰذا استطراد-، آيات وأحاديث في هٰذا المعنى يجب أن نتتبعها نضمها إلىٰ هٰذه الآية ونهتدي بها ونستضيء بنورها في هٰذه الظلمات؛ ظلمات الفتن الحالكة التي أخبر عنها رسول الله عليه الصلاة والسلام، ((فتن كقطع الليل المظلم يمسي الرجل مؤمنا ويصبح كافرا، ويصبح مؤمنا ويمسي كافرا))(٦) فتن يجب أن نحذرها، ونسأل الله تبارك وتعالىٰ أن يقينا شرها.

قال: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ جاءت آيات كثيرة تنهانا عن التفرق، تنهانا عن الاختلاف، جاءت أحاديث كثيرة تحذرنا من التفرق، تبين لنا مصير الفرق الهالكة التي مآلها إلىٰ النار، ((ستفترق أمتي إلى

ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة))، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: ((من كان على ما أنا عليه وأصحابي))(١) هٰذا هو الميزان، فيجب أن تجعلوا هٰذه الجملة أو هٰذا الحديث نصب أعينكم.

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ بلاغا (٢/٨٩٩) والحاكم (١/٩٣) من حديث ابن عباس وحسنه الألباني.

(٢) (على البيضاء) أي: الملة والحجة الواضحة التي لا تقبل الشبه أصلا.

(٣) **سنن ابن ماجه**: المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، حديث رقم (٤٣). قال الشيخ الألباني: صحيح. مسند أحمد (تحقيق أحمد شاكر وحمزة الزين): حديث العرباض بن سارية، حديث رقم (١٧٠٧٧). وأورده الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٩٣٧).

(٤) **مسلم**: كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهي عن منع وهات، حديث رقم (١٧١٥).

(٥) **مسلم**: المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (٠٥).

(٦) **مسلم**: كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، حديث رقم (١١٨).

فحذار حذار أن يكون أحد منا -ونعوذ بالله ونعيذ بالله جميع أبنائنا وإخواننا- أن يكون أحد من هٰذه الفرق الهالكة التي قادها الأهواء إلى النار -والعياذ بالله-.

فرسول الله دلنا على المخرج من هٰذا الهلاك وهو أن نبحث عما كان عليه رسول الله وأصحابه، من عقائد، من عبادات، من سلوك، من أخلاق، من سياسة، من آداب، فنعض عليها بالنواجذ، كما أوصانا بذلك في حديث العرباض الذي هو في معنى هٰذا الحديث: ((وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور)).(٢)

أرجو من شبابنا أن يتعقل وأن يتبصر وأن يبحث عن طريق النجاة لنفسه، وأن يخرج من المآزق التي تواجه كثيرا من الناس، من هٰذه الأمة، والتي ارتطم فيها كثيرا من الفئات الهالكة، فيبحث عن نفسه بحثا شديدا، في غاية الإخلاص، في غاية الضراعة إلىٰ الله أن ينقذه، ويلح على الله تبارك وتعالىٰ بهذا الدعاء الذي كان يدعو به سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام، كان يقول في صلاته أو إذا قام يصلي من الليل:

((اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السمٰوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم))،(١) هٰذا حال رسول الله عليه الصلاة والسلام، المعصوم، سيد ولد آم عليه الصلاة والسلام يلجأ إلىٰ الله ويضرع في جوف الليل، يدعو بهذا الدعاء.

---

(١) **سنن الترمذي**: كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هٰذه الأمة، حديث رقم (٢٦٤١)، وقال: حديث مفسر حسن غريب لا نعرفه مثل هٰذا إلا من هٰذا الوجه. قال الشيخ الألباني: حسن.

(٢) **سنن الترمذي**: كتاب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، حديث رقم (٢٦٧٦). وقال: حسن صحيح. سنن أبو داود: كتاب السنة، باب في لزوم السنة، حديث رقم (٤٦٠٧). سنن ابن ماجه: باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، حديث رقم (٤٢، ٤٣). قال الشيخ الألباني: صحيح. مسند أحمد (تحقيق أحمد شاكر وحمزة الزين): حديث العرباض بن سارية، حديث رقم (١٧٠٧٩).

وأخشى أن يكون كثير منا لا يخطر بباله مثل هٰذا الحديث، ولا يبحث عن المخرج، ونسأل الله العافية، فأسأل الله أن يوقظ بصائرنا وأبصارنا حتى نبحث والله عن طريق النجاة وعن

سفينة النجاة، سفينة النجاة ما كان عليه رسول الله وأصحابه، تتمثل في كتاب الله وفي سنة رسول الله، في صحيح البخاري ومسلم، والأمهات الأربع الأخر، وفي كتب السنة كلها جوامعها ومسانيدها، وفي كتب عقائد السلف ومناهج السلف التي دونوها لنا، هٰذه هي سفينة النجاة والتي تمثل لنا ما كان عليه رسول الله وأصحابه. وأن نعرف طرق الشر وطرق الضلال فنفر منها أشد الفرار ونحذرها أشد الحذر؛ لأنها طريق إلىٰ النار كما أخبرنا الرسول الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام في حديث الفرق وفي الحديث الذي شرح فيه قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[الأنعام:١٥٢] فخط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا -كما في حديث جابر وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما وغيرهما- إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هٰذه الآية، ثم خط خطا مستقيما فقال: ((هٰذا صراط الله))، وخط عن يمينه وعن شماله خطوطا فقال: ((هٰذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها))،(٢) وفي حديث حذيفة في الفتن: ((دعاة على أبواب جهنم من استجاب لهم قذفوه فيها)). (٣)

فهٰذا يحتم علينا -أيها الشباب- أن نجد بإخلاص وصدق ووعي، بحثا جادا عن سبيل النجاة، عن هٰذه السفينة التي تمخر بنا بحار الفتن والأمواج المتلاطمة فتوصلنا إلىٰ شاطئ السلامة، إلىٰ شاطئ النجاة، إلىٰ جنة عرضها السمٰوات والأرض أعدت للمتقين، الذين يتقون هٰذه المخاطر ويتقون مساخط الله ويحرصون أشد الحرص على ما يرضي الله كما في الحديث: ((يرضى لكم ثلاثا))، ومنها ((أن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)).(١)

---

(١) **مسلم**: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ودعائه بالليل، حديث رقم (٧٧٠).

(٢) **مسند أحمد** (تحقيق أحمد شاكر): مسند ابن مسعود، حديث رقم (٤١٤٣). قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٣) **البخاري**: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم (٣٦٠٦). مسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة، حديث رقم (١٨٤٨).

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ هٰذا في التفرق، ولعلنا نرجع إليه في الآيات القادمة إذا اتسع الوقت.

ننتقل الآن إلىٰ النعمة العظمى نعمة الأخوة التي نجهلها، التي عرفها الصحابة، وعرفها آباؤنا الذين عاشوا عهدا يماثل ذلكم العهد قبل البعثة، وعهد الأوس والخزرج، استمرت الحرب بينهم سجالا أربعين عاما أو أكثر، والله جمع قلوبهم على محمد عليه الصلاة والسلام وعلى هٰذا القرآن الكريم.

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ نعمة عظيمة جدا ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ وفي العهد القريب أصبح أهل الجزيرة إخوانا على منهج واحد، ونحن أدركنا شيئا كبيرا من هٰذا، وحكى لي شخص يقول: والله إنْ كان أحدنا ليركب راحلته من المدينة إلىٰ الطائف لا يزعجه شيء إلا أن يزور إخوته في الله، يضرب آباط الإبل من المدينة إلىٰ الطائف -في العهد القريب- أناس أدركناهم أكبر منا سنا، كان هٰذا حالهم، يضرب آباط إبله من المدينة لا يزعجه شيء إلىٰ هٰذا البلد البعيد في ذلك الوقت إلا أن يزور أخاه في الله تبارك وتعالىٰ؛ لأن الدعوة السلفية، دعوة التوحيد، دعوة الكتاب والسنة ألفت بين قلوبهم كما ألفت بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم جاءت الفتن وفرقتهم والعياذ بالله؛ لكن والله الدواء الشافي بين أيدينا، فلماذا نزهد فيه؟ ولماذا يتفرق شبابنا؟ ولماذا تأكل البغضاء والأحقاد والأدغال والعياذ بالله قلوب الشباب؟ وعندهم الدواء الناجع والحلول الحاسمة التي تستطيع أن تجعل منهم صفا واحدا، وتجعل منهم كما وصفهم رسول الله عليه الصلاة والسلام: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر))،(٢) هل هٰذا حال مسلمين على مستوى العالم؛ بل على مستوى هٰذا البلد؛ بل على مستوى القرية؛ بل على مستوى الحي؟ كلا، لماذا؟ لأن الشيطان الذي يجري من ابن آدم مجرى الدم والذي لا يريد لهٰذا الشباب أن يكونوا أمة واحدة وجماعة واحدة، ولا يريد لهم أن يكونوا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر، كما في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه المتفق عليه، والحديث الآخر لأبي موسىٰ رضي الله عنه: ((مثل المؤمنين كمثل البنيان يشد بعضه بعضا))(١) كالبنيان المرصوص المحكم يشد بعضه بعضا فانظروا يا إخوة هل واقعنا كذلك؟ لا، نستغفر الله ونتوب إليه.

(١) تم تخريجه صفحة رقم (٢).

(٢) **البخاري**: كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، حديث رقم (٦٠١١). مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم (٢٥٨٦).

نبحث عن الأسباب التي تجعل من هٰذا البناء أشلاء ومن هٰذا الجسد أشلاء متناثرة، فنحاول أن نجمعها ونؤلف بينها، كما ألف كتاب الله وألف محمد صلى الله عليه وسلم وألفت دعوته وتؤلف في كل زمان ومكان وفيها الصلاحية الكاملة لتأليف القلوب ورص الصفوف وإحكام هٰذا البناء.

ابحثوا يا إخوان، هٰذا ما يأتينا ونحن نائمون، لا يأتينا ونحن فارون، لا يأتينا ونحن زاهدون كارهون، إنما يأتي هٰذا بالصدق والجد والإخلاص والبحث عن أسباب الخلاف، ونستأصل شأفتها ونطهر ساحاتنا منها، ونطهر قلوبنا وأدمغتنا منها، حتى لا يبقى في قلوبنا وعقولنا إلا آيات القرآن، تشع فيها بالنور، وتضيء فيها بالتوحيد.

فإذا كنا كذلك فإننا نستطيع أن نكون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر.

الآن إذا أصيب يتربص بعض الشباب بعضهم ببعض، فإذا أصيب بعضهم فرح الآخرون، مع الأسف الشديد، فهذا هو حال المسلمين لماذا لا يكون القرآن وهدي محمد بين أيدينا، هٰذه الآثار الطيبة؟ لماذا لا تكون الآثار العميقة في نفوسنا وفي قلوبنا وفي عقولنا؟ لماذا؟ القرآن يعجز عن هٰذا؟ أم أن القابلية عندنا ضعيفة؟ أم أن عندنا زهدا في هٰذا الوضع وفي هٰذا الحال الممكن كل الإمكان وليس بمستحيل؟ لا يحتاج إلىٰ أكثر من الإخلاص في اللجوء إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ وإلى الرغبة الصادقة الجادة في إيجاد هٰذا الوقت، شاءت الدنيا أم أبت، لو وقفت الدنيا كلها في وجوهنا، وأرادت أن تحول بيننا وبين هٰذا الوضع الممتاز الطيب الذي لا يعرف إلا في فترات على أيدي الرسول وأصحابه، وعلى أيدي المصلحين من أمثال ابن تيمية وابن عبد الوهاب.

---

(١) **البخاري**: كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد، حديث رقم (٤٨١). مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم (٢٥٨٥).

فأين المصلحون؟ أين المصلحون الذين يؤلفون بين هٰذه اللبنات، ويجمعونها من جديد، ويجمع هٰذه الأشلاء ويوائم بينها من جديد حتى تكون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر، والله يحتاج إلىٰ رجال، يحتاج إلىٰ رجال، هٰذا أسمى غاياتهم، أن تجتمع هٰذه القلوب الطيبة المؤمنة الموحدة، فتصير على قلب واحد لا تضرها فتنة ما دامت السمٰوات والأرض، كما قال عليه الصلاة والسلام في حديث حذيفة رضي الله عنه: ((إن الفتن تعرض على القلوب كعرض الحصير عودا عودا، فأيما قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأيما قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين، على أبيض كالصفاة لا تضره فتنة ما دامت السمٰوات والأرض، وعلى قلب أسود مربادا(١) كالكوز مجخيا(٢) لا يعرف معروفا، ولا ينكر منكرا، إلا ما أشرب من هواه))،(٣) وإني لأرجو الله أن تكون قلوبنا جميعا على قلب أبيض كالصفاة لا تضره فتنة مادامت السمٰوات والأرض، وأن يطهر قلوب من وجدت في قلبه نكتة أو نكات، نرجوا أن لا تكون قد استحكمت فيه فيعود إلىٰ قلب أبيض، إذا وجدت هٰذه القلوب البيض كالصفاة التي أعطيت هٰذا الضمان من الفتن فأبشروا أن تصير

قلوب الشباب في هٰذا الباب وغيره على قلب واحد أبيض لا تضره فتنة، هٰذه القلوب التي رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا. وطردت الأهواء طرد غرائب الإبل، ترفض هٰذه القلوب أي فتنة وأي هوى.

ووالله لا يكون ذلك إلا إذا اعتصمنا بحبل الله جميعا، وعرفنا خطورة التفرق.

يا إخوتاه نتيجة التفرق الفشل والضياع، وما ضيع هٰذه الأمة وجعلها في مؤخرة الأمم إلا هٰذا الاختلاف وهٰذا التفرق.

ونحن -ولله الحمد- في هذا البلد بين أيدينا منهج واضح، نحارب التفرق، نحارب البدع، نحارب الأهواء، نحارب كل عوامل السوء والهدم، وتتوفر فيه كل عوامل البناء وتشييد هٰذا البناء وإحكام هٰذا البناء؛ لكن يحتاج إلىٰ السواعد القوية والقلوب المخلصة التي تعيد هٰذه الأشلاء حتى تصير كالجسد الواحد، وهٰذه اللبنات المتناثرة حتى تعود بنيانا محكما، ويحتاج إلىٰ الجد وإلى الصدق، فهل الجد والصدق فينا متوفر؟ أو أننا...

(١) (أسود مربادا) أي: شدة البياض في سواد.

(٢) (الكوز مجخيا) أي: منكوسا أو مائلا.

(٣) **مسلم**: كتاب الإيمان، باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب وعرض الفتن على القلوب، حديث رقم (١٤٤).

فلنتق الله -يا إخوتاه- في أنفسنا، وفي أمتنا، وفي إخواننا، وليركض كل واحد بما فيه من إمكانية وطاقة للم الشمل وجمع الكلمة وتوحيد الصف.

يا أمتاه الأمر جد والله، الأمر ليس كما يتصور كثير من الناس، ليس كما يتصور كثير من الناس، -يا إخوتاه- يكفي ما حصل، يكفي ما حصل، ألا نفيق؟ ألا نبحث في خضم هٰذه الخلافات عما كان عليه رسول الله وأصحابه فنعض عليه بالنواجذ ونذير ظهورنا لكل من يريد أن يبعدنا عنه ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥)﴾[النساء:١١٥]، سبيل المؤمنين والله واضح، والله سبيل المؤمنين هو القرآن والسنة وفهم السلف الصالح، فقه السلف الصالح ليس لنا حق أن يطرح كل واحد فقها جديدا لهذا الشباب وهٰذه الأمة؛ بل علينا أن

نلتف جميعا على كتاب الله وعلى سنة الرسول ونفهم ما فيهما في ضوء فهم السلف الصالح، هٰذا الذي يربط بين قلوبنا ويؤلف بينها ويجعل منا إخوانا، ويجعلنا نلتذ ونذوق حلاوة هٰذه الأخوة.

يا إخوتاه هٰذه النعمة التي تتمثل في تلكم الأخوة التي تكررت في تأريخ الأمة الإسلامية من عهد الرسول إلىٰ يومنا هٰذا؛ لأن النور الذي جمع بين أصحاب محمد وجعل منهم كتلة متراصة هو نفسه موجود، لا ينقصنا إلا الرغبة، إن وجدت الرغبة حصل هٰذا إذا وجد الجد حصل هٰذا، إذا ما وجد ينتهي كل شيء، وما يتحقق أضعف شيء، أضعف شيء لا نستطيع تحقيقه فكيف بالكمال؟

﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ كنت أدرس في المسجد النبوي وأمامي مجموعة من الروافض فألهمني الله هٰذا الكلام الذي أقوله لكم الآن، قلت: في هٰذه الآية شهادتان لأصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام:

أنهم كانوا إخوة متحابين، ما بينهم عداء أبدا، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي هم سادة هؤلاء الإخوة، ما كان بينهم خلاف ولا

عداء ولا شيء. هٰذه شهادة الله ولا نقبل أي شهادة ولا أي كلام يخالف هٰذا أبدا.

والشهادة الثانية أنهم كلهم في الجنة، الشهادة الثانية أن أصحاب رسول الله كلهم في الجنة ولله الحمد ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾.

ونسأل الله -يا إخوتاه- أن يجعلنا مثل هٰؤلاء، ممن هم على قلب رجل واحد إن شاء الله إخوة متآخين في الله ألف الله بين قلوبهم، وأن نكون ممن قال الله فيهم: ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ (٤٧)﴾[الحجر:٤٧].

وأسأل الله أن يقبلوا مني هٰذا الحق. وراجعوا صحيح مسلم، راجعوا رياض الصالحين -بارك الله فيكم- هٰذا الحديث في صحيح مسلم في كتاب الإيمان بارك الله فيكم.

حديث ((ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن))(١) يعني بالقول وبالقلب وباللسان، كل هٰذه الأصناف؛ يعني مؤمنة مجاهدة إن شاء الله، في ضوء هٰذا الحديث الصحيح في صحيح البخاري، تحسن الظن بإخوانك وتحملهم على أحسن المحامل، هٰذا حقهم عليك، هٰذا حق إخوانك من طلاب العلم ومن العلماء، حتى

تحافظ على هٰذه المحبة المطلوبة، وهٰذه الأخوة، وهٰذا التناصر ((أنصر أخاك ظالما أو ظلوما))،(٢) ((المؤمن أخو المؤمن لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله))،(٣) وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: ((لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا))(٤) الله أكبر لهذه التوجيهات، والله إن آثارها في أنفسنا ضعيفة جدا أو تكاد تكون معدومة.

لماذا لا نضع هٰذه التوجيهات كلها نصب أعيننا -يا إخوتاه- ونحن ننتمي إلىٰ منهج السلف الصالح؟

لماذا لا نجعل هٰذه التوجيهات السديدة النبوية تسيرنا في حال الرضا وفي حال الغضب، في الحرب والسلم، في العسر واليسر، في كل مكان؟

(١) **مسلم**: كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان...، حديث رقم (٤٩).

(٢) **البخاري**: كتاب المظالم، باب أعن أخاك ظالما أو مظلوما، حديث رقم (٢٤٤٣، ٢٤٤٤). مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالما أو مظلوما، حديث رقم (٢٥٨٤).

(٣) **البخاري**: كتاب المظالم والغصب، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، حديث رقم (٢٤٤٢). مسلم: كتاب البر والآداب والصلة، باب تحريم الظلم، حديث رقم (٢٥٨٠). ولفظ (ولا يخذله) في مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، حديث رقم (٢٥٦٤).

(٤) **مسلم**: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، حديث رقم (٢٥٦٤).

نجعلها هي التي تتحكم في سيرنا وتوجهنا، في قلوبنا وفي حركاتنا وفي سكناتنا، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)﴾[النساء:٦٥] أتظن أن هٰذه الآية تعني الحكام فقط؟ تعني الأفراد والجماعات والمجتمعات، والله تعني الجميع، تعني الجميع، خلاف بينك وبين شخص حكم في هٰذا الخلاف الشخصي رسول الله، في هٰذه القضية، وإلا لن تكون

مؤمنا بشهادة الكتاب والسنة، إذا ما ترضى حكم الله فلست من الله في شيء، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ قسم من الله ﴿لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾ يا محمد، هٰذا حكم الله.

((لا تحاسدوا ولا تناشجوا)) تعرفون المناجشة؟ تأتي السوق وواحد يسوم سيارة أو ثلاجة أو أي شيء، السيارة بكم؟ عشرة آلاف، يأتي واحد ما يرغب في السيارة فقط ليغر غيره، ويقول: أنا اثنا عشرة ألف. ويورط غيره؛ هٰذه المناجشة. والحسد معروف أن تتمنى زوال النعمة عن أخيك، وهٰذا من صفات اليهود، يفوقك أخوك في العلم، في الجاه، في السلطان، في المال، تتمنى زوال هٰذه النعمة، هٰذه ليست من صفات المؤمنين.

المؤمن غاية ما فيه أنه يتمنى أن يكون مثل فلان، فلان عنده مال أتمنى أن أكون كفلان، فأفعل كما فعل ((ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق يا رسول الله)) قال: ((أولا أخبركم عن شيء إذا فعلتموه أدركتم من قبلكم وتسبقون به من بعدكم)) ما هو؟ قال: ((تحمدون الله وتكبرونه وتسبحونه ثلاثا وثلاثين)) إلىٰ آخره، بعد ذلك سمعوا تنافسوا في الخير أضافوا التسبيح

والتكبير إلىٰ جهادهم وإلى صدقاتهم وإلى حجهم، شاركوا الإخوان في التسبيح والتهليل، قالوا: يا رسول الله إن إخواننا أهل الدثور سمعوا بما أمرتنا به ففعلوا كما فعلنا، قال: ((ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء)).(١)

المهم التنافس في الخير، واحد يقول: لو كان عندي مثل مال فلان أتصدق وأبني المساجد وأمول المجاهدين، لو كان عندي مال لفعلت مثل ما فعل، هذه غبطة هي نوع من الحسد لكنها محمودة، فهٰذا تحصل مثل أجره وأنت نائم في بيتك، بهٰذه النية الطيبة، فلان يدرس يخطب يوجه يربي وأنت ما عندك هٰذا، والله لو عندي علم مثل فلان لأفعل مثل فعله تتمنى مثله، هذه غبطة طيبة ليست حسدا، ((آتاه الحكمة فيقضي بها بين الناس، ورجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق أو في الخير))(١) فهٰذا محمود كله.

---

(١) **مسلم**: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفتهن حديث رقم (٥٩٥).

لكن الحسد الخبيث الذي لا يتصف به إلا اليهود ومن يشابههم، هو أن تتمنى زوال النعمة عن هٰذا الذي أنعم عليه، فهٰذا

اعتراض على إرادة الله وعلى قدره الذي فرق بين عباده، هذا حسد مذموم ونسأل الله أن يطهر قلوبنا منه.

((ولا تباغضوا)) لا على أمور الدنيا ولا أمور الدين؛ يعني معناه إنما نتعاطى أسباب الألفة والمحبة والمودة والأخوة؛ ولا نكون كذلك إلا إذا اعتصمنا بكتاب الله وبسنة رسول الله، وكانت النصوص هي التي توجهنا وتسيرنا وتربطنا بعضنا ببعض، وتتحكم في علاقاتنا بالأفراد والجماعات، ليست أهواؤنا التي تتحكم وأغراضنا وشهواتنا، لا، يتحكم فينا الوحي، النور الذي هدانا الله تبارك وتعالى به.

حديث آخر يعني يساعدنا على أن يعذر بعضنا بعضا، وأن يفهم بعضنا بعضا، التفهم والتعقل مطلوب يا إخوتاه، إذا ما نستخدم عقولنا في فهم هٰذا الوحي فإن سنن الرسول صلى الله عليه وسلم وحي ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤)﴾[النجم:٣-٤]، بارك الله فيكم.

حديث أم سلمة رضي الله عنها في صحيح مسلم قالت: ((إنه يستعمل فيكم أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم؛ ولكن من رضي وتابع))(٢) احفظوا هٰذا

الحديث -يا إخوتاه- وتفهموه وارضوا بحكم رسول الله، وضعوا نصب أعينكم ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (١٩)﴾ [الجاثية:١٨-١٩]، أنتبع هدي محمد أم نتبع الأهواء؟ نتبع هدي محمد، رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا.

---

(١) **البخاري**: كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة، حديث رقم (٧٣). مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها، حديث رقم (٨١٦).

(٢) **مسلم**: كتاب الإمارة، باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع وترك قتالهم ما صلوا ونحو ذلك، حديث رقم (١٨٥٤).

((إنه يستعمل فيكم أمراء فتعرفون وتنكرون)) تعرف صلاة، صوما، زكاة، حجا، بعض شعائر الإسلام، تنكر ربا، صورا، محرمات، أشياء، فما الذي يجب؟ ((فمن كره فقد برئ)) هٰذه شهادة من رسول الله بالبراءة، أوْ لا؟ صك براءة هٰذا من الرسول عليه الصلاة والسلام، رسول الله يعطيه صك براءة.

وأنت ماذا تعطيه؟ إذا أعطيته صكا آخر تجرمه فأنت ما رضيت بحاكمية الله ولا حاكمية رسول الله عليه الصلاة والسلام، واتبعت هواك. ((ومن أنكر فقد سلم)) أنكر إما باللسان وإما باليد؛ ولكن هلاك يحيق بمن؟ بمن رضي وتابع، قد يكون هناك في بعض البلدان يبيحون الربا ويبيحون الخمر ويبيحون الزنا إلىٰ آخره، ويرضى ويتابع يكفر؛ إلىٰ جهنم وبئس المصير، إذا تابع وهو يعتقد حرمتها؛ يعني كفر دون كفر -والعياذ بالله- ومعصية عظيمة؛ لكن الذي يكره بقلبه وما عنده حيلة يغير بيده ولا بلسانه أعطاه الرسول صك براءة، فلماذا يجرم؟ ولماذا يتهم؟

وهٰذا -يا إخوتاه- من التنافر والله، لأن الذي يقع في هٰذا يهلك، الذي يقع في مخالفة الرسول، ويظلم الناس في إصدار أحكام ظالمة عليهم في دينهم يقع في هلاك.

وأتقرب لأخي، وابني، وصديقي، ومحبي، أرجو له النجاة، وأرجو أن يكون عادلا منصفا لا يحكم على الأفراد والجماعات والحكومات والدول إلا بحكم الله، لا بحكمه هو ولا بهواه،

((فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع)).

يعني أظن أن هٰذه الأحاديث تفيدنا -إن شاء الله- وأحاديث أخر في هٰذا المجال، وأقول لكم: إن علماءكم سائرون على منهج إن شاء الله، وأرجو أن يخفف أو يزول ما يجري على ألسنة بريئة ما عرفت حكم الله في هٰذه القضايا، ومن واجبنا أن نبين لهم، يجب أن نبين لهم حتى لا يقعوا في الهلاك، وفي مخالفة هدي الله ويقعون في الهوى، ثم في الهاوية والعياذ بالله، إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالا فتهوي به في جهنم أربعين خريفا فكيف إذا قصد يا إخوتاه.

أسأل الله تبارك وتعالىٰ أن يجعلنا وإياكم من المتحابين فيه، والمتآخين فيه، والمتزاورين في الله، والذين يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

وأسأل الله أن يتوب علينا وأن يطهر ألسنتنا وأفكارنا وعقولنا وقلوبنا من الغل والحقد والحسد والظلم والبغي والعدوان، وأن يجعلنا أبرياء وأن يجعل قلوبنا كما في حديث حذيفة كالصفاة لا تضرها فتنة إلىٰ يوم القيامة، أو ما دامت السمٰوات والأرض.

والجؤوا إلىٰ الله واستكثروا من دعاء رسول الله عليه الصلاة والسلام المعصوم الذي كان إذا قام يصلي يقول: ((اللهم رب جبرائيل وميكائيل، فاطر السمٰوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني)) بصدق قل هٰذا: ((لما اختلف فيه من الحق إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.))(١)

نبرأ إلىٰ الله بهذا ونسأل الله مرة أخرى أن يكونوا كلهم إخوانا على سرر متقابلين، ما بينهم شيء يفرق بينهم، كل الأسباب التي تفرق أرجو أن تتعاونوا جميعا في القضاء عليها، ونيران الفتن تشتركون في إطفائها.

وفقنا الله وإياكم وحقق الله الآمال، وسدد الخطى، إن ربنا سميع الدعاء، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) سبق تخريجه في الصفحة: (٦).

أسئلة الدرس

الجواب على السؤال الأول: يمكن أهلها قصدهم خير إن شاء الله فأحسنوا بهم الظن، ولعلنا نجد أشياء من هٰذا فأنا أعالج ويأتي مدرس آخر يعالج، فيجب أن نتعاون معاشر الدعاة على تحقيق هٰذه المحبة والأخوة في الله، وأن نتعاون في القضاء على أسباب الفرقة والخلاف، عرفتم؟ فأرجو أن يكون هٰذا السائل يهدف إلىٰ هٰذا الأمر الطيب إن شاء الله، فنسأل الله أن يرزقنا وإياه حسن النية.

السؤال الثاني: يا شيخ ظهرت في هٰذه الأيام ظاهرة حزبية غريبة جدا حيث إن بعض الشباب إذا حذروا من الجماعات الحزبية يقال لهم: لا تتكلموا في هٰذه المواضيع والكلام فيها من ضياع الأوقات وما إلىٰ ذلك، فما نصيحتك لهؤلاء؟

الجواب: والله نصيحتي لهم ما قلته سابقا أن يبحثوا بجد عن القضاء على أسباب الخلاف تماما، إذا فيه أشياء تفرق بين الإخوان مما قيل فيه إنه حرام أو بدعة أو شيء من هٰذا استراحوا منه.

شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: يعني أحيانا قول الحق يترك لدرء المفاسد، السنة أحيانا تترك لتحقيق غاية عظمى وهي الوحدة، فابحثوا يا إخوان إذا كانت السنن والمستحبات تترك؛ يعني الرسول لماذا ترك هدم الكعبة وبناءها على قواعد إبراهيم؟ تأليفا للقلوب حتى لا تحصل الفتنة؛ يعني هٰذا أمر مشروع وأمر مطلوب وأمر محبوب؛ لكن رسول الله تركه حسما للفتنة عليه الصلاة والسلام.

فإذن من الأسباب ما ليس بمستحب، ليس بواجب، ما جاء به الكتاب ولا السنة، ومن الأسباب التي تفرق بين الشباب فيجب تركه ويحرم التمادي فيه، لماذا؟ لأنه يفرق والفرقة حرام، فيجب ترك كل الأسباب التي تفرق.

الجماعات هٰذه إن كان عندها بدع فقد حكم بالإجماع على وجوب التحذير منها وأنه من الجهاد، الجماعات فيها بدع صوفية، فيها رفض، فيها خروج، فيها إرجاء، فيها شيء من البدع التي حاربها السلف وحذروا منها، فيجب أن نتناصح ونحذر منها، هٰذا منهج السلف ومن شاء نوقفه على هٰذا.

ودليله كتاب الله وسنة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، وسار عليه السلف الصالح الذي ينتمي إليه.

فإن كانت الجماعة من هٰذا النوع فيجب التحذير منهم، ولا يجوز أن يسكت؛ لأنه إذا سكتنا على الباطل تفشى وانتشر وننصح شبابنا وسنرى كل الخرافات والبدع التي طهرها الله بالمنهج السلفي والدعوة السلفية.

نحن أدركنا هٰذا البلد ما فيه خرافات ولا بدع، والظاهر والواضح هو السنة، الآن السنة تشعر بالغربة، الآن يقال مثلا تقصير الثوب ينفر، لا ينبغي هٰذا يا إخوتاه، يجب أن نشجع أي شاب يلتزم ونحمده على هٰذا. بارك الله فيكم.

السؤال الثالث: يوجه ويربي كثير من الدعاة الشباب على الاتجاه السياسي والخوض في غماره، وعلى الكتب الفكرية والعصرية وقراءة المجلات إلىٰ آخره، هل ترون أن هٰذا منهجا سليما وصحيحا في الدعوة إلىٰ الله وطلب العلم، ما هو حكم الشرع؟

الجواب: ينبغي أن نوجه الشباب إلىٰ قال الله قال الرسول، العلم قال الله قال الرسول، ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ

لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (٩)﴾[الزمر:٠٩] المراد به ما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ (١٤٥)﴾[البقرة:١٤٥]، فيجب أن نربي شبابنا كما كان السلف: أول ما يربون أولادهم على حفظ القرآن، ثم بعد ذلك يوجهونهم إلىٰ دراسة اللغة والحديث إلىٰ آخره.

إذا درس شاب واستوى عوده وأصبح يدرك -يميز بين الحق والباطل- وقد أخذ مهمته من العلم، يطلع على هٰذه الأشياء، أما الاشتغال في السياسة في الدرجة الأولى من مهمات ولاة الأمور، ولها فروع ولها وزارات، وهٰذا نص عليه علماء الإسلام لست أنا، راجعوا كتب ابن تيمية السياسة الشرعية، راجعوا الأحكام السلطانية لأبي يعلى، راجعوا الأحكام السلطانية للماوردي، راجعوا كتب الفقه، قال تبارك وتعالىٰ: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[النساء:٨٣]، راجعوا تفسير المنار فسر هٰذه الآية تفسيرا طيبا جدا وهو أن إدخال العوام في مشاكل السياسة يفسد حياة الأمة.

فينبغي لأهل العلم أن يعرفوا من الواقع؛ يعني حملات المستشرقين والمبشرين ويعرفونها ويدحضون الشبه ويحمون الشباب من هٰذا الغزو الخبيث، بعض أهل العلم يتصدون لهذا، ويشتغل شبابنا بالعلم الواجب كما قال العلماء وأجمعوا على أن العلم منه ما هو فرض عين ومنه ما هو فرض كفاية.

فرض العين معرفة الشهادتين ومعناها ومعرفة الصلاة ولا تصح إلا به، وما يفسدها، ومعرفة الحج، ومعرفة الصوم، والزكاة؛ إذا كان لديك مال حينئذ عليك أن تعرف أحكام الزكاة، إذا توفرت عندك الاستطاعة المالية والبدنية للحج يجب أن تبحث عن ما يصح به حجك ويفسده، إذا ما وجدت المال ما يجب عليك أن تدرس أحكام الزكاة.

ثم على الأمة أن يوجد فيها ناس يعلمون تفاصيل الشريعة الإسلامية، ثم يتوزعون فرض العين هٰذا، ما يكون واحد يستوعب كل فروض الكفايات، فروض الكفاية تجب على طبقة من الناس، ما يجب على الواحد أن يلم بكل فروض الكفايات؛ بل نوزع فروض الكفايات.

القضاة يلزمهم أن يعرفوا ما يجب عليهم في هذا الحقل، المدرسون يلزمهم أن يعرفوا ما يجب عليهم في هٰذا الحقل، الدعاة يجب عليهم ما يتعلق بالدعوة، الدولة تحتاج إلىٰ سياسيين، الأذكياء يعرفون واقع الأعدء وخططهم، وتتوزع على الوزارات وزارة الداخلية وزارة الخارجية.. لأن هٰذا من مهمات الدولة ويحمون ظهور الأمة من كيد ومخاطر الأعداء.

وليس للشباب أن يتجه كله إلىٰ السياسة، هٰذا غلط؛ لأنها كالخمر؛ الأمر خمر سيمل قراءة القرآن وسيمل قراءة السنة وسوف لا يفقه فيها، وسوف يضيع وقته وسيصبح من أجهل الجهلاء، فلو كان نخبة من الشباب نوجههم ادخلوا في أجهزة الدولة ينفع الله بهم يعرفون السياسة وخطط الأعداء، ويعرفون ما في الصحف، قسم الاستشارات الذي عندنا موجود في المملكة، أقسام الدعوة، أقسام العقيدة ينتخب منها أكفاء وأذكياء ونبغاء يواجهون المستشرقين والمبشرين وغيرهم.

وبقية الأمة هٰذا يشتغل بالطب ويبرع فيه ويتفوق على أعداء الإسلام، ويغني الأمة عن أطباء اليهود والنصارى، وهٰذا مهندس بارك الله فيك، مهندس كهربائي ومهندس ميكانيكي، مهندس

كذا ومهندس كذا، ويعلم من الشريعة ما يجب عليه يعني في الصلاة وفي الصوم وفي الزكاة ومعرفة الحلال والحرام كالخمر والزنا والأشياء هٰذه، هٰذا ثم يكب على تخصصه فيتقنه، ولا يشتغل بالسياسة ولا حتى بعلوم الشريعة، حتى علوم الشريعة لا نقول: إنه يجب عليه أن يعرف تفاصيل الشريعة، كذلك من باب أولى لا يجوز لنا أن نفرض عليه أن يعرف الواقع.

أصبح مع الأسف بكل صراحة الذي لا يفقه الواقع لا قيمة له؛ يعني كلنا نعرف الواقع؟ هٰذا غلط، تضيع مصالحنا، تضيع أمتنا إذا اشتغلنا كلنا بمعرفة الواقع، إذا عرفت أنت يكفينا، أنت عندك اتجاه بمعرفة الواقع أستفيد منك، أكملك وتكملني، أنت تحتاج لي في الفقه تحتاج لي في الحديث، وأنا أحتاج لك في الواقع.

الغلو في علم الواقع وفقه الواقع أصبح معولا هداما، علم الواقع -كما قلت لكم- يحتاج إلى قليل يختصون فيه، وبقية الناس كل واحد يشتغل بجانب من جوانب حياة المسلمين، والله نحتاج إلىٰ المحدثين البارعين ممن يحفظ البخاري ومسلما ويعرف مراتب الرجال جرحا وتعديلا ويميز بين صحيح الحديث

وسقيمه ويعرف علوم الحديث لا سيما علم الجرح والتعديل وعلل الأحاديث.

فمثل هٰذا يحافظ لك على الوحي الذي جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام وهو الذي يغلب عليه قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[فاطر:٢٨]، ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[المجادلة:١١]، هٰؤلاء بارك الله فيكم هم العلماء في عرف السلف وفي عرف الشريعة الإسلامية، ونحن لا نحرم أن يعرف الإنسان مثل هٰذه الأشياء؛ ولكن لا يجوز أن نصرف الشباب لهذا ونكلفهم كلهم ونوجد في أنفسهم احتقار من لا يفقه الواقع، هٰذا ما يجوز يا إخوتاه، هٰذا والله يفرق ويمزق ويضيع في الشباب، فأرجو أن نتعقل وأن نتبصر وأن نضع الأمور في نصابها، وأن نسير في ما أجمع عليه السلف إن من العلم ما هو فرض عين ومنه ما هو فرض كفاية، وفروض الكفاية تتوزع على فئات أيضا وعلى أفراد، وما يجب على المسلمين كلهم أن يعرفوا تفاصيل الشريعة، يمكن تقول: تسعة وتسعين في المائة يجب عليهم فرض عين، وفروض الكفاية على واحد بالمائة، يوجد فيها

مفتي واحد يكفينا، ما يصيرون كلهم مفتين، كلهم أهل فتوى، كلهم علماء واقع، كلهم علماء حديث، كلهم فقهاء، كلهم مفسرون، هٰذا ما يتأتى أبدا، الواحد يتخصص في فن واحد فلا يتقنه والله.

وهكذا يا إخواني يجب أن نسير بتعقل -بارك الله فيكم- في مثل هٰذه القضايا، وفقنا الله وإياكم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.